

الخطوط العامة للمجتمع الإسلامي



ـ المجتمع الإسلامي مبني على قاعدة التوحيد وشعار التوحيد إسم الله، والمجتمع الجاهلي طاف على غرور أصنام النفس البشرية وشعاراتهم إسمها . وتوحيد الله يعطي المجتمع الإسلامي فضلاً من الله ورحمة شاملة ودائمة وشعار الرحمة الشاملة (الرحمن) وشعار الرحمة الدائمة (الرحيم). وهذا يعني أنّ المجتمع الإسلامي مستقر ومستمر، متكامل و دائم فهو خير ورفاه و تقدم لجميع الناس في جميع العصور.

الالتزام المبدئي:

الخط العام الذي تتفرع عنه سائر الخطوط المميزة للمجتمع الإسلامي أزمه مجتمع ملتزم بمنهج الله، وقد عبر القرآن عن هذه الفكرة في آية: (وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى) (الفتح/ 26)، فهو مجتمع مبدئي، وحين نقول مجتمع مبدئي فإننا نتصور شرطين أساسين هنا :

أـ- أزمه لا يؤمن بالفوضى في أي حقل من حقول المجتمع، بل يؤمن بالتنظيم في كافة الأبعاد الخاصة وال العامة.

بـ- أزمه ينطلق في تنظيمه من بصائر سماوية ليست فيها تحديات قومية أو اقليمية أو عنصرية أو غيرها .. لأنّ السماء هي التي أوحى بهذه البصائر.

من هنا جاء نداء الله للناس (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسْأَلُونَ بِهِ وَالْأَرْدَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا) (النساء/ 1).

فهذا نداء إلى الناس أن يتقووا الله ليبنيوا على أساسه مجتمعهم الفاضل. ومعروف إنَّ هذا الخطاب للناس الواقعين الذين يتحركون في أرض الواقع، وليس الخطاب إلى الإنسان أو البشر كصفات تجريدية، إنَّ هذا الخطاب تعبر عن روح الواقعية في الرؤية الإسلامية، وبالتالي روح توجيه الحياة مباشرة ومن دون الالتفاف حولها بمسائل نظرية. والسؤال هو: لماذا قال الله ربكم؟

الجواب: إنَّ كلمة الله تدل على معنى التربية فهي إذن أقرب إلى التشريع الذي يأمر الله عباده باتباعه ولذلك ترى أنَّ القرآن لا يكتفي بكلمة رب بل يضيف قائلاً "الذي خلقكم". ليذكروا بأنَّ الذي ربنا بعد الخلق أجدر أن يتبع الناس تشريعه ويتقونه في حيائهم.

التوحيد منطلق التشريع:

الميزة الأساسية في تشريع السماء إنطلاقه من مبدأ التوحيد والذي يعني فيما يعني الارتفاع فوق كلَّ الحاجز المصنوعة بين الناس، إننا نفهم اليوم وبعد أن إكتشفنا إن أكثر الوليات التي أصابت البشرية ولا تزال تصيبها حتى اليوم آتية من هذه الحاجز "العنصرية، القوميات، الأقلبيات، الطبقيات... و.." نحن نعرف إنَّها هي العقبات الحقيقية في طريق الإنسان إلى السعادة والتقدم؛ ولذلك يرکِّز القرآن على أنَّ الله خلق الناس جميعاً من نفس واحدة ويقول: (إِنَّمَا رَبُّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِّنْ نَارٍ فُسُوْدَةٍ وَّخَلَقَ مِنْهُمَا زَوْجَهَمَا وَبَثَثَ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً) (النساء/ 1).

النساء كالرجال:

وستثير هذه الآية تساؤلاً معيناً وهو: كيف خلق الله زوج الإنسان من نفسه؟ وهل يعني هذا إنَّ الإنسان الأول كان ذا طبيعة مزدوجة، ثمَّ انفصل طبيعة الذكر عن طبيعة الأنثى فيسائر الأجيال؟ أم هل يعني هذا إنَّ الله خلق آدم (ع) ثمَّ انتزع من أصلعه صلصالاً وخلق منه حواء؟

يصعب تحديد الاجابة عن هذه الأسئلة، ولكن هذا التعبير يوحى بفكرة علمية تهمنا في تلاوة آيات القرآن الكريم هي إنَّ الذَّكَرُ وَالأنثى أَقْلَ شَأْنًا مِّنَ الذَّكَرِ لَكُمْ مِّنْ أَرْزُقْسَكُمْ مِّنْ أَرْزُقْهُمْ (الروم/ 21)، وقد تكررت في آيات القرآن هذه الفكرة مثل: (خَلَقَ لَكُمْ مِّنْ أَرْضِهِمْ مِّنْ أَرْضِهِمْ) (الروم/ 21)، وقد نسف القرآن فكرة العنصرية الجنسية التي تقول: "إنَّ للذكر سلطة مطلقة على الأنثى بسبب ارتفاعه من جنس أعلى والفارق بينه وبينها يشبه تماماً الفارق بين الإنسان والحيوان. لقد نسف القرآن هذه الفكرة وبدين ان كلَّ الحاجز بين الناس مصنوعة ولا رصيد لها من الحق أبداً".

الأسرة تنظيم إيجابي:

بدين القرآن إنَّ فكرة التساوي بين الناس لا تعني الانفلات والفوضى، إنما يجب أن يكون داخل المجتمع تنظيم متقن، ونقبل بالحاجز بقدر أدائه لعملية التنظيم الإيجابي، فالأسرة مثلاً كإطار ينظم علاقة مجموعة بشرية بأخرى و يجعلها أكثر تعاوناً وتفاعلاً... مقبولة، بل هي ضرورة. ولكن الأسرة كإطار لضرب الأسر الثانية واسعة العصبية والقبلية بين المجتمع مرفوض أساساً.

ولذلك أكدَ القرآن على الأسرة وقال: (وَاتَّقُوا اللَّهَمَّ إِنَّمَا تَسْأَءَ لِمَنْ بَرَّهُ وَالْأَرْجَامَ إِنَّمَا كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا) (النساء/ 1). أي اتقوا الله واتقوا الأرحام.

إنَّ التعاون مع الأسرة يجب أن يبقى ضمن إطار منهج الله، فلا يصبح وسيلة للفساد والرشوة، وغمض الحقوق وإشاعة الفحشاء لذلك بدأ الحديث بذلك تقوى الله وجعلها ركيزة البناء الاجتماعي، ثمَّ بدين

أهمية الأرحام (الأقارب) وبتعبير القرآن (تساءلون به) يعني أن "إنه هو المقياس النهائي والأخير الذي يمكن أن يجعل ركيزة التعاون الاجتماعي، فإذا سأله أحد شيئاً من آخر هل فعله أم لا، كيف يستطيع إثبات ما يدعيه إن كان موافقاً للواقع أم مخالف له. لا طريق له إلى ذلك إلا أن يحلف بما ويسثير ضميره وفطرته المؤمنة بما يجعل من ذاته على ذاته رقيباً".

إن المجتمع الذي يتمتع بالإيمان، هو القادر على إيجاد تعاون حقيقي بين أبنائه على أساس من العدالة والمساواة، وإن لم يكن المجتمع مؤمناً فكل الأنظمة الموضوعة تصبح حبراً على ورق يتلاعب بها الناس كما يتلاعب الرياضيون بالكرة. ومن هنا لابد أن يبني المجتمع المسلم على ركيزة الإيمان والتقوى (إنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَّقِيبًا) (النساء/1).

معنى الحياة..

العلاقة بين أبناء المجتمع الإسلامي ليست علاقة تراكمية. وإنما هي علاقة تفاعلية عضوية فالإسلام لا يريد أن تجتمع الناس في المسجد كجمع البرتقال في صناديقه، وإنما يريد أن يجمعهم داخل المجتمع كما تجتمع قطرات الماء فتحول إلى سيل عظيم. وهذا هو معنى الحياة.

الفرق بين التجمع الحي والغير الحي، هو أنَّ الأخير، تفاعل أبناءه يكون بحيث يجعل كلَّ واحد يضاف إلى الآخر إضافة كيفية وليس إضافة كمية.

الواحد يتتشجع بالآخر، يتعاون ويتكامل معه، وهكذا تصبح الإضافة نوعية، كلَّ جزء من أجزاء الإنسان وكلَّ حركة من حركاته وكلَّ نشاط من نشاطاته كلَّ ذلك يتتكامل مع الجزء المقابل عند الإنسان الآخر، وجاء في الحديث: "وأي كلمة حكم جامدة أن تحب للناس ما تحب لنفسك وتكره لهم ما نكره لها". ▶